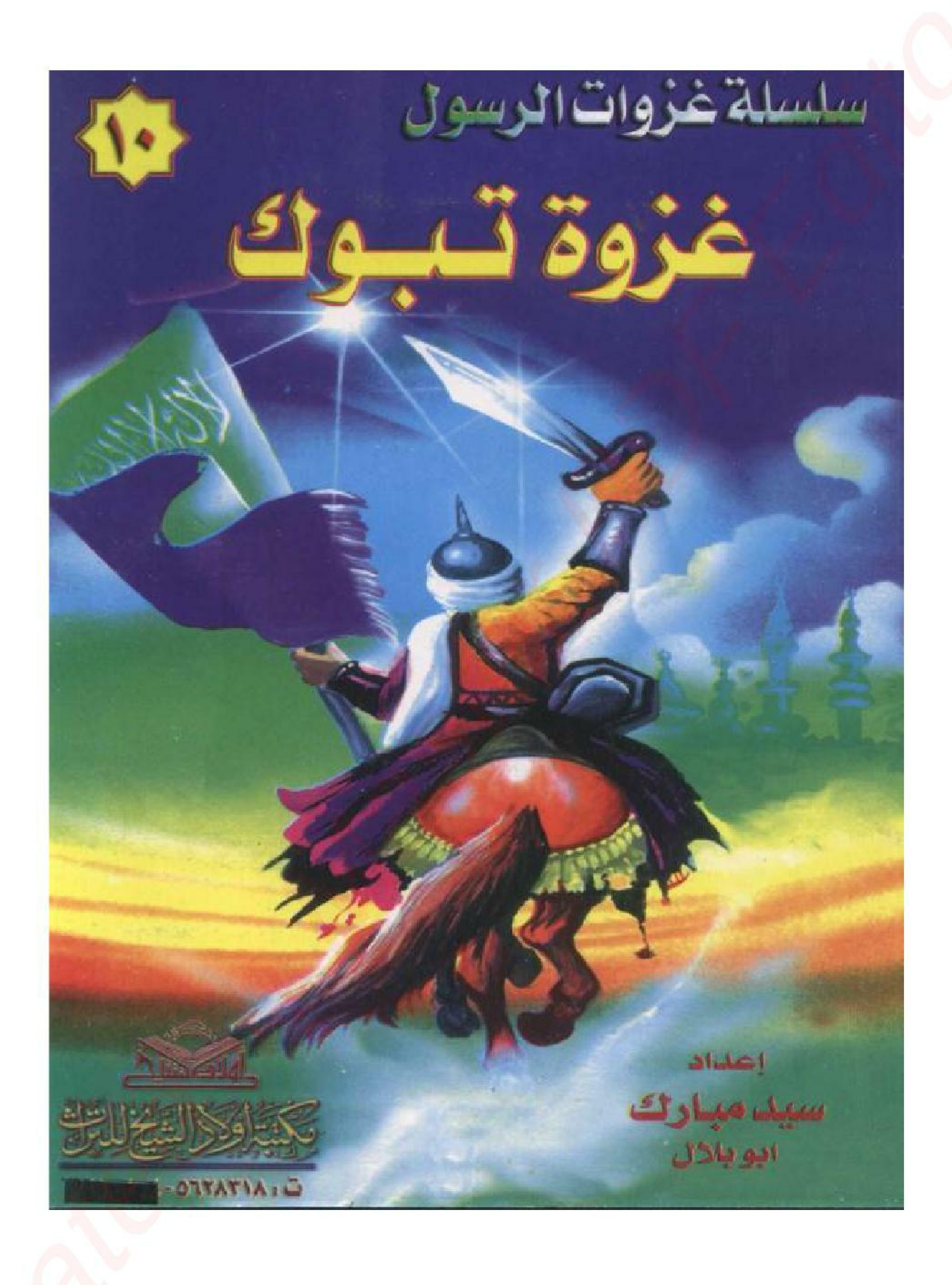

سلسلة غزوات الرسول
١٠
غزوة تبوك
إعداد
سيد مبارك
ابو بلال
مكتبة أولاد الشيخ للتراث
ت: ٥٦٢٨٣١٨ - [redacted]

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	١٠٨٨٦/ ٢٠٠٢
الترقيم الدولى	977- 5986- 62-1





● ٣٦ ش اليابان خلف قاعة سيد درويش ت، ٥٦٢٨٣١٨

● ٤٢ ش إبراهيم عبد الله من ش المنشية الطوابق فيصل ت، ٧٤١٠٧٠٤

التجهيز الفنى، إبراهيم حسن

ت، ٥٦٠١٠٠٨

غـزوة تبـوك

غزوة تبوك من أخطر وأعظم الغزوات لعدة أسباب منها:

- أن المسلمون كانوا فى مجاعة وشدة حر.
- بُعد المكان وكثرة العدو وقوته.
- لم يكن هناك دعوة عامة للخروج للجهاد وعدم التخلف إلا فى هذه الغزوة.

ولهذه الاسباب وغيرها كما سوف نرى أصبحت غزوة تبوك من أخطر الغزوات.. لكن ما هو سبب هذه الغزوة؟

الإجابة فى السطور التاليه:

• أسباب هذه الغزوة:

فى غزوة مؤتة حاربت الروم بقيادة هرقل المسلمين

وكانوا ثلاث آلاف مقاتل، بينما كانوا هم مائتى ألف مقاتل مع حلفائهم من العرب وقد حدث فيها ما سبق أن ذكرناه فمات زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبى طالب ثم عبد الله بن رواحة، ثم استطاع سيف الله خالد بن الوليد النجاة بالجيش بخدعة وذكاء، وتركهم الروم وحلفائهم فعادوا والحمد لله بخسائر لا تذكر، ولـمَّا فتح المسلمون مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجًا اجتمع هرقل ملك الروم ومن معه من حلفائه من العرب لقتال المسلمين خوفًا من أن تمدد قوة المسلمين وتنتشر وتزلزل كيانهم فقرروا محاربة النبى ﷺ وتجهزوا لذلك.

• النبى ﷺ يأمر بالتعبئه العامة:

كشف النبى ﷺ عن نيته لغزو الروم وقتالهم وأعلن التعبئه العامة فأطاع البعض وتباطأ آخرون فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة**

فما متاعُ الحياةِ الدُّنْيا في الآخرةِ إلاَّ قليلٌ ﴿٣٨﴾ إلاَّ تنفرُوا يُعذِّبْكُمْ عذابًا أليمًا ويستبدلْ قومًا غيرَكُمْ ولا تضرُّوهُ شيئًا واللهُ على كُلِّ شيْءٍ قديرٌ ﴿٣٩﴾ إلاَّ تنصرُوهُ فقدْ نصرهُ اللهُ إذْ أخْرجهُ الَّذين كفرُوا ثاني اثْنيْنِ إذْ هُما في الْغارِ إذْ يقُولُ لصاحبه لا تحْزنْ إنَّ اللَّه معنا فأنزل اللَّهُ سكينتهُ عليْه وأيَّدهُ بجُنُودٍ لَّمْ تروْها وجعل كلمة الَّذين كفرُوا السُّفْلىٰ وكلمةُ اللَّه هي الْعُلْيا واللَّهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴿٤٠﴾ انفرُوا خفافًا وثقالاً وجاهدُوا بأمْوالكُمْ وأنفُسكُمْ في سبيلِ اللَّه﴾ (التوبة: ٣٨ - ٤١).

ولكن مع كل هذا فكانت مشكلة تجهيز الجيش صعبة لعدم وجود المال، حتى إن هذا الجيش سمى بجيش العُسرة إذ بلغت العُسرة يومها أشدُها.

ولهذا دعا النبى صحابته إلى التسابق فى تجهيز الجيش وكانوا جميعًا عند حسن الظن بهم وتسابقوا فى هذا الميدان فأنفق أبو بكر الصديق كل ما يملك، وأنفق عمر بن الخطاب نصف ما يملك، وأنفق عثمان نفقة قال فيها رسول الله ﷺ: (اللهم ارض عن عثمان، فإنى

عنه راضٍ) فقد كان له النصيب الأكبر فى تجهيز الجيش إذ أنفق ألف دينار وألف بعير، وحمل رجال من أهل اليسار والغنى واحتسبوا أجرهم على الله تعالى.

• تخلف واعتذار:

فى هذه الغزوة أراد البعض أن يتخلف ويعتذر، ولكن النبى ﷺ لم يأذن لأحد بالتخلق ومن هؤلاء نفر من غفار وهم أعراب فى البادية حول المدينة جاءوا يعتذرون فلم يعذرهم ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿وجاء **الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾

(التوبة: ٩٠).

وهناك من الصحابة من تخلف لاعذار غلبت نفوسهم وليس خوفًا من الموت أو الجهاد فى سبيل الله وبعد عودة النبى ﷺ قبل أعذارهم، وأرجا توبة ثلاثة منهم؛ لأنهم من كبار الصحابة وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وطلب مقاطعتهم

فذاقوا قرار المقاطعة وامتحنوا امتحانًا عسيرًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم جاء فرج الله - ونزلت آيات بينات يخبر فيها جل شأنه نبيه ﷺ بتوبته عليهم وهو التواب الرحيم.

قال تعالى ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٧ - ١١٨).

• البكاءون السبعة:

سبعة رجال من أهل الأيمان الصادق كانوا عكس غيرهم ممن تخلف أو اعتذر لقد كانوا أهل حاجة وفقر فلم يجدوا زادًا ولا راحلة وعز عليهم التخلف فأتوا رسول الله ﷺ يبكون وقالوا:

احملنا يا رسول الله، فكيف نتخلف؟! فلم يجد رسول الله ﷺ ما يحملهم عليه فرجعوا إلى بيوتهم يبكون وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ**﴾ (التوبة: ٩١: ٩٢).

• أبو خيثمة وأبو ذر يلحقان بالجيش:

خرج النبى ﷺ بالجيش واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وعلى أهله على بن أبى طالب، ولكن على ماالبث أن ركب ولحق بالنبى ﷺ لما سمع المنافقون يتكلمون بإن النبى ﷺ ما خلف عليًا إلا استثقالا له، ولكن عندما لحق بالجيش واخبر النبى ﷺ قاله له:

(كذبوا وإنما خلَّفتك لما ورائى فأرجع فاخلفنى فى أهلى واهلك أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من

موسى؟ إلا إنه لا نبى بعدى» فرجع على واكمل رسول الله ﷺ سيره بالجيش.

وقد تخلف أيضًا أبو خيثمة وأبو ذر ولكنهما لحقا بالجيش ولكل منهما قصة تستحق ان نذكرها هنا.

- أما أبو خيثمة فكان له زوجتان ووجد كل واحدة منهما قد تجهزت له وبردت له الماء ووضعت له الطعام فقال:

أيكون رسول الله ﷺ فى الحر والريح وأبو خيثمه فى الظل والماء فقام وركب جمله وسار يتبع اثر الجيش حتى رآه الناس فقالوا: يا رسول الله راكب مقبل قال: ﷺ: «كن أبا خيثمه». فلما وصل دعا له النبى ﷺ -

وأما أبو ذر فقصته اعجب فقد تعب بعيره وأبطأ فأخذ متاعه وحمله على ظهره يتبع اثار النبى والجيش ماشيا على قدميه، ولما اقترب قال رجل من المسلمين: يا رسول الله رجلاً يمشى على الطريق وحده. فقال ﷺ (كن أبا ذر) فلما اقترب عرف الناس إنه أبو ذر فقالوا:

يا رسول الله إنه هو والله أبو ذر.

فقال: رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده، ويبعث يوم القيامة وحده.

• من آيات النبوة فى هذه الغزوة:

حدثت فى هذه الغزوة آيات نبوية كثيرة منها:

- أن الناس اصبحوا لا ماء معهم فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فدعا ربه فأرسل الله سبحانة فأمطرت حتى ارتوى الناس، وأخذوا حاجتهم من الماء.

- وضلت راحلة النبى ﷺ فخرج أصحابه رضى الله عنهم أجمعين يبحثون عنها، وكان هناك صحابى اسمه (عمارة بن حزم) وكان من أهل بدر كان معه جندى من جنود المسلمين، وكان هذا الجندى منافقًا قال فى غياب (عمارة) (ان محمد يخبركم أنه نبى ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته).

وعندما كان عمارة عند النبى ﷺ قال بوحى من الله تعالى:- (ان رجلاً قال هذا محمد يخبركم أنه نبى

ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته؟ وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله، وقد دلنى الله عليها وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجره بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها) فذهبوا وجاءوا بها.

ولما رجع عماره إلى رحله قال ما اخبره به النبى ﷺ فقال رجل من رحله إنه سمع هذه المقاله من فلان المنافق واسمه (زيد بن اللُّصيت) فأقبل عمارة على زيد وأخذه من عنقه وهو يقول:

إلى عباد الله، إن فى رحلى لداهية، وما أشعر، اخرج أى عدو الله من رحلى، فلا تصحبنى.

• جيش المسلمين فى تبوك:

وصل النبى ﷺ إلى تبوك ونزل فيها وأقام بها بضع عشرة ليلة إلى عشرين وكان يقصر الصلاة ويجمع الظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء تخفيفًا على أصحابه حتى لا يوقعهم فى حرج أو مشقة.

فقد أجاز الله تقصير الصلاة والجمع بينها عند السفر

وخلال مدة السفر مالم تحدد الاقامه، والنبى ﷺ كان لا يعرف متى يقيم وإنما كان ينتظر الأمر من ربه تعالى، إذا أمره بالإقامة أقام وإذا أمره بالمسير سار.

● النبى ﷺ يستشير أصحابه:

استشار النبى وهو فى تبوك أصحابه فى التقدم إلى الشام والسير إلى بلاد الروم فكان رأى عمر راجع إلى ما يقرره الحبيب المصطفى ولكن النبى ﷺ قال: (لو أمرت ما ستشرتكم فيه)

فقال عمر: يا رسول الله إن للروم جموعًا كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام وقد اقتربت منهم وأفزعتهم، لو رجعت هذه السنة حتى يحدث الله لك فى ذلك أمرًا.

فرأى النبى ﷺ صواب ما قاله عمر فقرر العودة إلى المدينة وكفى ان الروم فزعوا ولم يقتربوا منه خوفًا بعد أن ارادو حربه وقتاله فى المدينة.

● وفاة عبد الله ذو البجادين:

عبد الله ذو البجادين كان قومه يرفضون ويعترضون

على إسلامه ولكنه تمسك به فلما وجد منهم شده وغلظة هاجر وترك أهله وقومه إلى المدينة وكان يرتدى ثوب غليظ الكساء، ولما وصل إلى المدينة تصدق بنصف هذا الثوب الغليظ !!

نعم ما اصدق واروع إيمانه فهو لا يريد أن يلق النبى ﷺ إلا ويشكر الله على نعمته فيتصدق بنصف هذا الثوب الغليظ ويستر نفسه بالنصف الآخر ولهذا سمى: ذو البجادين لان هذا الثوب يسمى (بجاد) فوصف بذلك.

وفى غزوة تبوك توفى رضى الله عنه وها هو ابن مسعود رضى الله عنه يروى لنا القصة.. قال:- قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار ناحية المعسكر فاتبعتها فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ فى حفرته، وأبو بكر وعمر يُدليانه إليه وهو يقول: (أدنيا إلىّ أخاكما) فدلياه إليه فلما هيأه لشقة

قال: اللهم إنى راضيًا عنه فارضى عنه) فقال ابن مسعود ياليتنى كنت صاحب الحفرة!!

• العودة إلى المدينة:

عاد النبى ﷺ إلى المدينة بعد غزوة تبوك وخرج أهل المدينة لاستقباله ﷺ وهنا قال ﷺ (إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم حبسهم العذر) قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة قال: (نعم وهم بالمدينة).

ثم دخل المسجد وصلى ركعتين وجاءه المخلفون من المنافقين يحلفون ويعتذرون طالبين الصفح والعفو ولكن الله تعالى رفض اعتذارهم فقال جل شأنه ﴿**يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ**﴾ أى لن نصدقكم ﴿**قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ**﴾ (التوبة: ٩٤).

أما الثلاثة من كبار الصحابة الذين تخلفوا فقد علمنا ان الله تاب عليهم ولله الحمد والمنة.

• قدوم الوفود إلى رسول الله ﷺ:

بعد غزوة تبوك الذى سميت أيضًا فى زمن النبى ﷺ (المبعثرة) لما كشفت من سرائر المنافقين وخبايا قلوبهم

جائه ﷺ وفود العرب من كل القبائل يعلنون دخلوهم الإسلام وقد اخبر الله تعالى بهذا فقال جل شأنه.

﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ (النصر: ١ - ٣).

نعم.. جاءت الوفود من اليمين والشمال ومن الشرق والغرب ودخلوا فى دين الله افواجا بعد معارك وغزوات وتضحيات عظيمة وهائله مات فيها من مات ونجا منها من نجا حتى ارتفعت رآية التوحيد خفاقة عالية ودوت صيحات الله اكبر.. الله اكبر فى ارجاء المعمورة حتى صار عدد المسلمين اليوم خمس سكان

العالم.. وختامًا أحبائى فى الله.

ان هذه الغزوات يجب أن تتدبر ما فيها من عبر وتضحيات وان نعلم اننا ننتمى إلى دين عظيم واننا يجب ان نجتهد فى دعوة الناس إلى التوحيد واخلاص العبودية لله تعالى ولا نخاف فى ذلك لومة لائم.

وهكذا تمت هذه السلسله بحمد الله وتوفيقه وإلى ان نلتقى مرة اخرى فى سلسلة (العشرة المبشرون بالجنة) اسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا إلى ما يحب ويرضى وان يختم لنا بحسن الخاتمة فى الدنيا والآخرة إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه / أخيكم الأكبر

سيد مبارك (أبو بلال)

١٤ ربيع أول سنة ١٤٢٣هـ - ٢٦ مايو سنة ٢٠٠٢م